القرآن في شارع فؤاد!..

إن عجبت من هذا الذى يطالعك به العنوان فأنى أزيدك عجباً إذ أضيف إليه أن ذلك كان فى نحو الساعة العاشرة من مساء يوم الأحد ! حيث يمتلىء هذا الشارع وما تفرع منه بطلاب اللهو من الأجانب والمصريين فى عطلة الأسبوع

انعطفت وصديقٌ من شارع عماد الدين إلى شارع فؤاد فإذا بميكروفون عظيم يملأ الشارع كله بكلام الله فى صوت كان على شدة علوه من أحلى الأصوات وأبعثها للطرب ...

وعجبت وعجب صاحبى وقلنا ماهذا ؟ إنه والله للقرآن! ونظرنا فإذا متجر جديد جميل تزين الأنوار المتوهجة المتلألئة واجهته وجوانبه ، ومنه ينبعث هذا الصوت القوى الساحر بقول الله سبحانه « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ... »

وأسرعنا الخطى صوب النور الذى نرى، والنور الذى استشعرته نفوسنا فيما يشرق فى السمع من كلام الله ؛ ووجدنا أنفسنا وسط أصناف من خلق الله يذهب البصر فيهم هنا وهناك وهم عاكفون على هذا النور كالفراش يقمون عليه من كل صوب وأرواحهم مستشرفة إلى هذا الصوت الجميل القوى يسترسل فى تنغيمه وتطريبه ، وآذانهم مرهفة وقلوبهم خاشعة وكأن عليهم الطير مما سكنوا ؛ وما أن يقف صاحب هذا اللحن العلوى عند قول الله « ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها » حتى تنبعث بالتصفيق أكفهم وتنطلق بعبارات الاستحسان حناجرهم ...

وأجلت منظارى فى الجمع المحتشد فإذا به خلق من كل طبقة ومن كل نمط ففيه القبعون والمقبعات والمممون والمطربوشون وفيه العلية يقفون إلى جوار سياراتهم الفخمة ، وفيه التواضعون مثلى من عباد الله ممن يدبون على أقدامهم ، وفيه عدد من العمال والخدم والحوذية وسائق سيارات الأجرة وغيرهم بيض وسود من كل سن وفى كل زى وفيه المسلمون وفيه لاريب النصارى واليهود والجميع ينصتون إلى الشيخ مصطفى اسماعيل يتلو آيات الله وينظرون إلى اسم الطرابيشى المصرى تلألئه الأنوار القوية على واجهة متجره الجميل الجديد ...

وامتلأ طوار الشارع حتى لم يبق فيه موضع ، وغص الشارع نفسه بالسيارات والعربات من كل نوع ، حتى الترام نفسه يبطىء سائقوه إذ ينصتون ويقفون على مقربة من المتجر فلا يحبون أن ينطلقوا فيبتعدوا عن هذا الصوت الندى الحلو الذى سحر الناس جميعاً ، والذى يرسله الميكروفون قوياً صافيا لا حشرجة فيه ولا تمليخ ولا كدرة فيملأ به الشارع .

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ، والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها »

بهذا التنزيل المجيد كان يصلصل حلق القارىء البارع فى صوت يرتفع إلى عنان السماء ثم يهبط إلى قرار قريب ، فتحس فيه تموج الشعاع وتأود الجدول وترسل الكروان وتنغيم البلبل ، وتجد نفسك مسحوراً بهذا الصوت اللين الحلو ، وهذا الإيقاع العبقرى الجميل فى إمالة سائغة لأواخر هذه الآيات الكريمة يهفو لها السمع وتترشفها النفس ، وكانت ترتفع مع اللحن نفوس السامعين وتهبط وهم صامتون خاشعون حتى يفرغ ذلك النفس الطويل ، نفس القارىء المفتن فتضج أصوات السامعين بلفظ الجلالة ...

كان المسلمون يطربون للتنزيل الحكيم وقد وجلت قلوبهم لذكر الله وزادتهم آياته إيمانا ، وكانوا يعجبون بذلك الصوت العبقرى القادر وهذا الترتيل الشجى الساحر ؛ وكان غير المسلمين مأخوذين بهذا التطريب العجيب الذين يحسون أثره ولا يتبينون سره ؛ وكان الأجانب مذهولين بهذا المتجر الذى ينبثق منه النور والذى جاء يزحم متاجرهم ويبدأ بهذا التحدى فيفتح أبوابه يوم الأحد ويذيع كلام الله فى شارع فؤاد ... !

ودخلنا على الرغم من الزحمة فناء المتجر فإذا به ممتلىء بالناس، وإذا باقات كبيرة من الزهر تبلغ الواحدة منها قامة الرجل طولا تزين جوانب الفناء وكلها مهداة إلى المتجر الجديد من أصحاب

المتاجر الكبيرة كما دلت على ذلك ما علق عليها من بطاقات .

وكان كل مافى المتجر يملأ النفوس سحراً وشعراً فهذه الأنوار المتألقة وهذه الزهور الناضرة وهذه التلاوة العذبة ، ثم هذه البضائع الجديدة المنسقة على الرفوف اللامعة النظيفة فى أناقة وحسن ذوق كل أولئك كان يبعث البهجة فى النفوس ويلقى السحر فى الخواطر .

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ، ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك »

وأخذ الشيخ اسماعيل يرتل هذه السورة ويرددها وقد أفرغ فيها كل فنه وبلغ صوته فيها غاية حلاوته والناس يهزون رؤوسهم فى تخشع ونشوة معاً ويودون لو ظلوا وقوفاً يستمعون حتى يتصدع على الأفق عامود الصباح ...

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ... والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

ما كاد الشيخ يقف عند هذا الوقف حتى انتزع الناس الزهور من الباقات وامطروه بها من كل جانب وهو فى الطابق الأوسط وتشققت حناجرهم بالهتاف ، حتى كأنما طاف بهم طائف من الجنون وقال أحدهم « والله هذا رجل انسرق من الجنة » .

وختم الشيخ تلاوته وأخذ الناس ينصرفون وملء نفوسهم البهجة من هذا الافتتاح الموفق ، ونظرت إلى المتاجر الأخرى فطاف برأسى معنى لعله طاف برؤوس غيرى من الناس ، وذلك أن المتاجر الأخرى على طوارى الشارع باتت تحس هذه الليلة ذل الغربة ، وكأنما كان هذا القرآن فتحاً فى هذا الحى الأفرنجى الذى ما شهدنا فيه مثل هذا من قبل ، وكأنما كان متجر الطرابيشى غزواً يباركه كتاب الله ... وشعرت بالعزة الوطنية حق العزة وأحسست لأول مرة فى هذا الشارع أن الدار دارى والأهل أهلى والوطن وطنى . . . واغتلى خيالى وأنا الشاعر الذى يطير به الخيال كل مطير ، فخيل إلى أن النافق لم يرتد عن نواتيه ، وأنى أسمع القرآن لا فى شارع فؤاد ولا فى القاهرة ولكن على ضفة السين !

مناقشة هادئة

خلود الروح

للشيخ محمد رجب البيومى

أبى أين تصير الروح حين يضيق بى عمرى
أتفنى الروح كالجسم إذا غيبت فى قبرى
سألت العقل إيضاحاً فقال العقل لا أدرى

بنى الروح حين تطير تمرح فى رب الخلد
لها فى الأفق تغريد يثير كوامن الوجد
ستحيا الروح فى الأخرى ويفنى الجسم فى اللحد

أبى الجسم يرى بالعين أما الروح بالوهم
فهل تنجو من الموت ويمضى الموت للجسم !
كلام يأبى كالسحر يستعصى على فهمى

بنى الروح فى جسمك مثل الملح فى الماء
فهل تنكر أنت الملح إن لم يره الرائى
إذا وسوس إبليس فلا تهمم بإصغاء

أبى لست أمارى فى وجود الروح بالدنيا
ولكن حينما تمضى أتفنى الروح أم تحيا ؟
شكوك جففت حلقى وجئتك أنشد الريا

بنى العطر مقياس به يتضح الحكم
مضت أوراقه عنه وكل منه يشتم
كذاك الروح تبقى بعد ما ينعدم الجسم

أبى أوضحت بالتمثيل مادق على فكرى
فى جيبى زجاجات بها قسط من العطر
ستبقى مثله الروح ويمضى الجسم كالزهر

محمد رجب البيومى